

مسجد المخيم كان أشبه بغرفة كبيرة مسقوفة بألواح الصاج له بضعة شبابيك وله مئذنة صغيرة يصعد إليها المؤذن بدرجات حجرية، فيعلن الأذان بصوته المرتفع، وعند باب المسجد يوجد مرحاض واحد وبضعة أباريق فخارية للوضوء والشراب، أرضية المسجد مغطاة ببعض الحصائر أو البسط القديمة وشبه البالية، في مقدمة المسجد يوجد منبر صغير من عدة درجات خشبية.

كثيراً ما كان جدي يصطحبني معه للمسجد قبيل موعد أذان الظهر يمسك بيدي التي تغرق في يده الكبيرة، ورغم حرصه الشديد على المشي البطيء، ورغم كبر سنه وقد تجاوز (٧٠) عاماً، إلا أنني أضطر للجري خلفه، فهو يكاد يجرنني معه جراً. كنا نصلي في المسجد قبل الأذان أقف إلى جوار جدي أفعل مثلما يفعل ما استطعت، أجلس إلى جواره متربعاً أضع رأسي بين يديه مثل الأولاد المؤدبين، يأتي الشيخ حامد يخرج ساعته من جيب في جيبه عند صدره ينظر إليها وحين يقترب الأذان يصعد إلى المئذنة ويصدح صوته بالأذان فأبدأ أتلفت فرحة لسماع ذلك الصوت العذب.

ينهي الشيخ حامد أذانه وينزل عن المئذنة ويصلون السنة، وأنا أقف بجوار جدي أقلده ما استطعت فيأتي عدد قليل من شيوخ المخيم ليؤدي الجميع صلاة الظهر جماعة، عددهم لا يتجاوز العشرة بكثير، وكلهم شيوخ اللهم إلا أنا وطفلاً أو طفلين آخرين أحضرهما جداهما.

يبدو أن جدي وأمي سلما بالأمر الواقع فيما يخص مصير أبي المجهول فإن حديثهما عنه قد بدأ يقل وأصبح نادراً أو أدركا أن عليهما الانتظار حيث ليس لديهما سواه (ما باليد حيلة).

الجديد الوحيد الذي طرأ على بيتنا هو أن أهل زوجة عمي قد أجبروها على الزواج من جديد الأمر الذي لم يكن سهلاً وكان يبيت عندها في الليل، وأمي كانت تقوم بالواجب تجاههما مثل كل واحد من إخوتي تماماً، لكن ما من شك في أن ذلك لا يعوض فقدان الأب والأم ولكنه يخفف بعض الشيء. وهكذا توالى الأيام، أصبح على صوت جدي وهو يتوضأ ويصلي الفجر ثم تستيقظ أمي لتوقظ إخوتي وأخواتي وابني عمي، وتجهزهم للمدرسة فينطلقون إليها.

جدي يذهب للسوق، أمي تبدأ بترتيب البيت، وأنا أجلس إلى جوار أختي مريم الرضيعة خشية أن تستيقظ وتبدأ بالبكاء وأمي مشغولة عنها بترتيب البيت، يعود جدي وحده ويعود إخوتي وأبناء عمي من المدرسة فتضع لنا أمي طعام الغداء أو نتناوله سوية.